. . . . . مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، الجمهورية العراقية . . . . . .

اطلالة على..... تجربتي الشعرية
وقضية المرأة في شعري

محمد الشرقي

في هذه الندوة، ومن خلال هذه المناسبة التي تكرم وهيأها لي مركز دراسات الخليج العربي ورئيسه الاستاذ الكبير الدكتور قحطان الناصري، والاخوة العاملون معه مشكورين ـ يمكنني أن أركز على جانب واحد من اهتماماتي الادبية، وانتاجي الشعري، وهو الجانب المتعلق بالمرأة لان المرأة ظلت هما، ومازالت الى اليوم، ولان معظم انتاجي الشعري الى اخر ديوان مطبوع، وهو السفر في وجع الكتابة، وأشواق النار كان مع المرأة، والمرأة موجودة فيه، وحتى مسرحياتي الشعرية والنثرية كانت المرأة فيها جزأ من الموضوع والفكرة، والهدف، ان لي حوالي ثمانية دواوين او اكثر من الغلاف الى الغلاف كلها قصائد في موضوع المراة وقضية تحريرها، وتحررها من القيود الثقيلة التي تكبلها حتى اليوم.

وتجربتي حول المرأة مرت بمراحل، واسميها مراحل تجاوزاً، لان مراحل الشاعر تتداخل فيما بينها فقد تكون اخر مرحلة جزأ من المرحلة الاولى، وقد تكون المرحلة الثالثة مثلا رجوعا الى المرحلة الثانية موضوعا، وفكرة، ولكن باسلوب متطور، وهكذا. . . المهم ان لاتكون إحدى المراحل تكرارا حرفيا في الشكل والمضمون، والاسلوب للمرحلة او المراحل السابقة.

---

* محاضرة القاها الاستاذ الشاعر محمد الشرقي على قاعة مركز دراسات الخليج العربي بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٨٦ بناءا على الدعوة الموجهة اليه من قبل المركز.

المرحلة الثانية

تبدأ المرحلة الثانية من عام ١٩٦٣ أي بعد ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ بأشهر وكأن ثورة سبتمبر لم تات سوى لتفجير هذا الهاجس الملح هاجس المراة وقضيتها . . .

زاد من ذلك انني وجدت الرجل وحده على الساحة اما المراة فما زالت وراء الجدران حبيسة البيت، وكان الرجل نفسه مترددا في اتاحة الفرصة للمراة ان تتعلم وان تعمل بل ظلت في نظر البعض نفس المراة التي يجب ان تظل كما هي في عهد الامامة للمطبخ والسرير فقط وخاصة نساء المدينة بالذات .

ولذلك عندما جاءت في الاسابيع الاولى لثورة سبتمبر الى الاذاعة أم الشهيد الملازم «عبد الله اللقية» وصرخت من وراء الميكرفون باعلى صوتها مخاطبة الشعب الثائر، قائلة بلهجتها العامية البسيطة «تحررين ياخواتي تحررين ياخواتي انتهى عهد الطغيان والظلم . .» عندما صرخت هكذا لم يعجب البعض وقد لايهم لو كان هذا البعض من عامة الشعب بل كان من بين صفوف المثقفين، أو من يدعون الثقافة، والفهم للمتغيرات .

لقد قالوا: اضفتم الى اعداء الثورة والجمهورية اعداء اخرين وقالوا: هذا «مش وقته» اي ان الوقت لم يحن في نظر هولاء ان تتحدث المراة عن نفسها او يتحدث عنها الاخرون .

ومثلما حدث لام الشهيد اللقية الذي ذبحه الامام قبل الثورة ـ حدث لمجموعة من الفتيات الطالبات اللاتي اشتركن في العرض الشعبي بمناسبة الذكرى الثانية لثورة سبتمبر ومثلن قوات الصاعقة زيا وحركة، لقد اغضبن بعملهن جماعة التقليديين وسايرهم في ذلك بعض مدعي الثقافة والفهم وعلى اساس «هذا مش وقته» . . .

وحينها اكتشف ان مفهوم الثورة لدى البعض ليس رفع الظلم عن المراة والرجل وانما عن الرجل وحده، وباعتبار ان المراة غير مظلومة او انه يمكن ان تتجزأ الثورة ولو بدون مبررا وسبب او منطق معقول، او انه بالامكان حذف المراة تماما من برامج التغيير ولو لمائة عام قادم .

هنا . . . وفي اجواء الثورة، وزخمها بدات في طرح همومي وهموم المراة نفسها في شكل قصائد موزونة مقفاة، وكان الحجاب الاسود ـ الشرشف ـ مركز الانطلاق للتساؤل اولا، ثم مهاجمة الرجل المتزمت ثانيا ثم تنويع الهجوم واستثارة عواطف الرجل والمراة واستنهاض حماستها ضد الحجاب ـ الشرشف .

ياليل الانسان
وياتاريخ الغابه
يارجلا لم يعرف إلا شهوته مني ورغابه
يلعنني صبحا . . ومساء يمسح بي أتعابه

ديوان من اجلها

النقطة الرابعة :

ربما كنت مثيراً، وصاعقا كما قال بعض النقاد لانني جئت بشعر فيه نكهة التراث ونكهة الجديد، نكهة التراث من ناحية الشكل في الشعر فقد كانت قصائدي الاولى موزونة مقفاة ونكهة الجديد بالنسبة للموضوعات والاسلوب . . . اذ ان الشعر ليست له أيّ وظائف اجتماعية أو سياسية سوى المدح أو الرثاء أو الهجاء واذا لم يكن مدحا أو رثاء أو هجاء فليس له . الا طريق واحد يتحول اليه وهو نظم القواعد النحوية واللغوية والتواريخ بحسب الحروف الابجدية للسلاطين وبناء المساجد والقصور، ودور العجزة وموت الكسالى، ونعوش الموتى الذين ماتوا من زمن بعيد .

المراحل

مرت تجربتي الشعرية، أو مرت حياتي مع قضية المرأة بعدد من المراحل وقد تكون كل المراحل مرحلة واحدة لكنها استمرت بتطور أو تطورت باستمرار وقد تكون عدة مراحل تجاوزا كما قلت سابقا باعتبار ان لكل تطور بداية يبدأ منها التطور، ونهاية ينتهي اليها وتبدأ مرحلة تطور اخر داخل الوعي الذاتي بالاشياء أو في محيط الاشياء الخارجية فانا اذكر مثلا المرحلة الاولى، حيث كانت المراة وقضيتها تمر على صفحات النفس كالهمس، او الهاجس المتسائل، او كانت احد الهواجس الملحة انذاك اي من عام ٥٨ ـ ٦٢ ـ ١٩٦٣ ومابعد، الا أن القضية العامة، أو الهم الاكبر كان لدينا انذاك هو الاوضاع المتخلفة العامة السائدة وذلك العهد الامامي الذي عطل كل طاقات الارض والانسان في الشطر الشمالي من اليمن .

في هذه الفترة كان شعري كله شعرا سياسيا . . همه فضح العهد وتعريته واستثارة الهمم والعزائم لاقتلاعه، والثورة عليه، قلت او كتبت بعض القصائد او المقطوعات الشعرية في الحب او الغزل، ولكنها فقدت مع معظم شعر تلك الفترة، ولم يبق من شعر تلك الفترة وماقبلها الا تلك القصائد التي يضمها ديوان (اغنيات على الطريق الطويل) .

الأمر الثاني: تطور في الأداء والشكل الشعري كما لاحظتم في هذه المقطوعة فلم تعد قصيدة البيت هي أسلوبي الوحيد في شعر المرأة عندي، لقد جاءت قصيدة التفعيلة واعتقد ان الانطلاق الى قصيدة التفعيلة اعطتني فرصا ثمينة للتعبير عن احساسي بموضوعي بصورة أكثر حرية وأكثر صوراً وعمقاً، هذه هي فائدة قصيدة التفعيلة عند الشاعر المتمكن في رأيي.

وفي هذه المرحلة ايضا لم يبق الرجل وحده محور الهجوم، أو التعريض، وانما اشركت المرأة في مسؤليتها عن مأساتها ودعوتها بصورة مباشرة او غير مباشرة للنهوض للدفاع عن نفسها وتحديد سلطة الرجل المهيمن عليها...

من لي بفتاة لم تخضع للابوين
ولم ترهب... لم تهن
من لي بتمرد كل بنات العصر
على التاريخ الفني
يتفجرن بوجه الأوهام
يثرن على الضعف على الوهن
يتحدين هنا جدران البيت
وينسفن مراسيم السكن

ديوان من اجلها

او ادعوها مباشرة كما في قصيدة... القلق من اجلها أو غيرها ان تثور على واقعها وان تخرج من صمتها المطبق.

أهواك أنا أمراة كالاعصار
تسخر بالريح وتضحك في وجه الأمطار
أهواك أنا قمراً يغزو كل الأقمار
ونشيداً غيبياً لاتستوعبه الأوتار
أهواك أنا قافلة في صخب الموج
تكونين بها أنت البحار
لاتهتم بما تلقاه
ولاتعبأ من تعب الأسفار
ثوري كالثوار
فأنا أكرهك امرأة خلف الجدران جدار

من ذا الـذي اخفاك في شـرشف؟ مـن ذا الـذي جـار، ولم ينصف؟
مـن ذا الـذي لـفـك في اسـود دام ـ لـغـير الحـزن لم يـعـرف؟

ديوان دموع الشراشف

وكانت حصيلة المرحلة مجموعة من الدواوين والمشاكل، الدواوين موجودة اما المشاكل فقد نجوت منها والحمد لله ـ وعدت الى قواعدي سالما معافى.

لقد تعرضت في هذه المرحلة للشرشف كمظهر خارجي، او قيد قاهر يرمز الى ذل المراة واضطهادها وأنها كما يقول الرجل عنها ناقصة عقل ودين وميراث.

كما تعرضت في قصائد مختلفة لحجاب الصغيرات في سن الثالثة، والرابعة وزواج الصغيرات ايضا بثمن مدفوع والزواج من وراء الجدران، (بخت يانصيب) وتعدد الزوجات ومايحدث وراء الشرشف الذي يساوي في مظهره بين كل النساء ـ ومايحدث وراءه من مفاسد ورذائل على عكس مايظنه بعض التقليديين، وكذلك تعطيل طاقات النساء وبطالتهن، ومانجره هذه البطالة من مزالق خطيرة في خضم الحياة الاجتماعية المعقدة... وهذه المزالق هي مايخشاه هولاء التقليديون ويرون في الحجاب وسيلة لدرئها بينما يحدث العكس.

المرحلة الثالثة

في هذه المرحلة تزامن أمران في التطور
الاول: انتقالي من مرحلة الاهتمام بمظهر المرأة الخارجي وهو ارتداء الشرشف، الحجاب مثلا الى ماتعانيه من تخلف فكري وعقلي وعدم احساسها بمأساتها.

الشرشف ملء دماغك
ملء الاعماق
الشرشف مأساتك
مات الاحساس بها
ماتت كل الاشواق
ماتت نبضات الحب الدافق
مات القلب الخفاق

ديوان من أجلها

واحدد على لسانها احيانا ما الهدف من خلع الحجاب، الشرشف وهو الحرية من اجل العمل من أجل المساهمة في بناء الوطن، وصنع الحياة الحرة الكريمة انها ليست حرية غير مسؤولة ولا حرية التبذل والخلاعة.

انا . . . بنت بلقيس الشموخ واختها وأنا لأروى، وهي لي من منبع
أهوى بان يقنات حمرة وجنتي حقلي ويأكل سحر عيني مصنعي
أنا لم أعد حلم المخادع طاربي عطر المداخن فوق حلم المخدع

ديوان دموع الشراشف

وقد تداخلت هذه المرحلة تداخلاً كبيراً مع المرحلة الأخيرة ـ الرابعة ـ التي وصلت اليها وبحيث لاأستطيع الفصل بين المرحلتين، ففي المرحلة الثالثة بدأت أهم مرحلة وصلت اليها، وهي مرحلة النضج الشعري كما أظن ويقوله النقاد على مستوى قصيدة البيت وقصيدة التفعيلة هذا أولاً وثانيا تضخم رؤيتي للمرأة القضية المرأة الموضوع لتصبح المراة الفكرة المراة الرمز الكبير للارض والثورة، والوحدة والمستقبل، واذا بي ثالثا استطيع من خلالها ان اتخاطب مع الرموز بها، وكأنني أتخاطب مع تلك المراة ذات الروح والجسد المحدودين . . . وفي قصيدة بعنوان ماذا ابقيت؟

ماذا أبقيت، وقد حولت لك الصخر
الى ورد
والرمل الى أزهار؟
ونثرت على قدميك الأنجم والشمس
والقيت بكفيك الأقمار
وجعلتك من دون الناس سماء
لاتحيل إلا بالاسرار
ونقشتك فردوسا
من صنع الأحلام على الأرض
ومن نسج الأشعار
وخلقتك حبا لاتستوعبه أغنية
في قلب اللحن
ولا تستوعبه الاوتار

ديوان صاحبتي، واناشيد الرياح

وقد تبرز المرأة بشحمها، ولحمها بدمها وروحها بقضيتها المحدودة أو هموم الرجل المحدودة ولكن هذا البروز، أو المعاودة لهذا الاستعراض قل وندر في مختلف دواويني الاخيرة، قال بعض الكتاب انني قد تخليت عنها، أو رجعت، أو تراجعت، لان اليأس من تحررها ادركني أو انني من كثرة المشاكل التي تعرضت لها اصبحت اخاف على حياتي ورضيت من الغنيمة بالاياب، والحقيقة عكس ذلك فالمرأة في دواويني الأخيرة اصبحت جزءاً من القضية الكبرى ـ قضية الثورة، وقضية الثورة على التخلف والتمزق، والانكسارات المتلاحقة، الا أنها هي الرمز الاول ومن خلالها اتحدث عن الكثير من احباطات الواقع، وانتكاسات الزمن.

بالاضافة الى انني وظفت مسرحياتي الشعرية، والنثرية توظيفا كاملا من أجلها أو بمعنى آخر فقد حاولت ان أنقل قضيتها كفكرة وكموضوع الى مسرحياتي المكتوبة، والمطبوعة وهي حوالي خمس عشرة مسرحية شعرية ونثرية، اذن فأنا الى اليوم ماز لت معها وفي صفها حتى تتحرر من سلطة وعبودية الرجل وحتى يتحررا معا من الظلم والقهر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

المرحلة الرابعة

في البداية يجدر بي أن أشير الى أنّ ثورة ٢٦ سبتمبر لعام ١٩٦٢ واجهت احباطات كثيرة، ووصلت في بعض الاحيان الى الانتكاسات الخطيرة التي حولت مسارها وكادت ان تلغيها من خارطة الوجدان الشعبي، وتشكك في قيمتها او جدواها وحاول البعض ويحاول ربما حتى اليوم ان يقول كان اليمن سيتطور بدونها، او يقول، وعلى اي حال سبقت أوانها، او يقول خسارتها اكثر من ربحها الى غير هذه المقولات التي لاتستند الى اي منطق معقول او مثلما قلت:

من سبتمبر ياصنعاء
اخذت بطاقاتي الاولى
ميلادي... عنواني اوراق نجاحي
سافرت بها زمنا
افكرني البوليس بها
واشارات الضوء الحمراء
انكرني في داري مفتاحي

اوراقي
ودفاتر أحلامي ضاعت مني
كبقايا اوهام . او اشباح
الثائر كنت . . . فاصبحت اخاف
بقايا دمعي المسفوح
واثار جراحي

المهم ان المراة كانت اكبر الخاسرين بسبب بعض الاحباطات، وانتكاسات مسيرة ثورة سبتمبر، فقد عادت الضفادع تنق، والغربان تنعق، وبدأت تركز على المرأة وضرورة عودتها الى البيت والتزامها بالحجاب والشرشف. . وان كل ماقيل عنها ويقال عن حريتها او تحررها كفر وفساد، والحاد، وبدات المواجهة معي واذا بي وحدي، الصحافة نشرت بعض قصائدي فهوجمت، واصطلحت مع المهاجمين على السكوت وعدم نشر اي قصيدة لي من جديد نشرت بعض قصائدي في ديوان عزلت من عملي في السفارة بالقاهرة وعدت الى عملي في قصة يطول شرحها، ثم نشرت قصيدة بعنوان (الله والحب) قامت القيامة ضدى ولم تقعد وطالب المهاجمون سلطة ذلك العهد بانزال احدى عقوبات اربع علي اما قطع يده ورجله من خلاف او رميه من شاهق او نفيه من فوق الارض، او السجن المؤبد وجاءت لجان وعادت لجان الى رئيس الدولة واخيرا وبعد ايام من الارهاب ضدى قال لهم سألت بعض العلماء فقالوا ان القصيدة لاتمس الدين في شيء واذا كان فيها شيء يمس السياسة فانا امثل السياسية هنا وقد عفوت عنه.

وهنا. . . وفي هذه المرحلة وجدت نفسي مضطرا الى تكرار بعض الموضوعات والقضايا التي كنت أقولها قبل سنوات مثلا. . . طبعا باسلوب اجد وبطرق اقل مباشرة، واعمق اثرا، وذلك من باب استمرار المقاومة في تلك الاجواء الخانقة.

لا لاأصدق
ان هم العمر قد ولى
وولى بعده الجرح الدفين
وبان صدر حبيبتي
ماعاد ينبض بالهوى
ويجيد ترتيل الحنين

وبان حزني لم يجد
في مقلتيها روعة الدفء الحزين
مسحته عاصفة الضياع
ومزقته يد السنين
وبأنها اطرحت سيوف الغاضبين
وحطمت قرص اليقين
وبأنها عادت الى قصر الرشيد
وفضلت غرف الامين

ديوان من مجامر الاحزان

وأنا مع الرأي القائل: ليس المهم أن تكتب كتباً أو ديوان شعر او مسرحية او رواية حول قضية ما لم تسكت عليك ان تستمر وتلح على قضيتك وتثيرها وتعالجها بمختلف الطرق ومختلف الاساليب وعلى طول الحياة وعرضها ولا مانع من الهدنة بعض الوقت ولا مانع من الانحناء حتى تمر العاصفة او للعاصفة.

وفي بعض كلام غير موضوعي مقل فلان يكرر نفسه وفلان يردد ما قاله سابقا في كتابه الثاني او ان الثالث نفس موضوع كتابه الاول او الثاني، مع ان المهم في الكاتب، والكتابة هو الاستمرار والالحاح على القضية وتقديمها كل يوم في اطار جديد، وبنكهة وطعم اخر، ولعل مثل هذا النقد اقل خطرا من الضاربين على وتر التيئيس، والتقليل من خطورة موضوع المرأة، والمتشفين، وهم من عنيتهم في بعض القصائد.

يقولون لافائده
كتبت لها الشعر والنثر
لكن بلا فائده
ركزت قناديل عينيك من اجلها
وعلقت مصباح قلبك
والأنجم الساهره
وعلمتها ان تطير
وكيف تحلق في كل افق
وكيف تسير
ولكنها لم تزل جامده

ومازال يحتل اجفانها
غبار النعاس الخطير
وأتربة القيم الفاسده
فقلت لهم إنها في الطريق
وقد بدأت تمسح النوم
وابتدات تستفيق
وتحمل في يدها جرحها
وهو جرح عميق
ولن تجدوها الى الخلف
نحو زنازنها عائده
الخ . . . الخ

ديوان وهكذا احبها

خلط الخاص بالعام والعكس

الصوفيون نجحوا في هذا الأسلوب وقالوا شعراً كثيراً ولكنني لم أكن أعرف قبل ممارستي وكتابتي للشعر ماذا يعني خلط الخاص بالعام، كنت اعرف من خلال دراستي التقليدية ان هناك في الشعر مايسمى بالمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والاستعارة المكنية، والشاعر الموهوب هو من يستطيع تلقائيا ان يستخدم هذه الاشياء في اسلوبه الشعري، لأنها تبعد الشعر عن النثر وترتفع بالشعر من المباشرة والتقريرية.

اما الرمز بالاسطورة والقصص الشعبي المحلي والعالمي فلم اهتد اليه او اعرفه الا متاخرا وبعد ان قرأت دواوين الشعراء المحدثين مثل السياب، وبلند الحيدري، والبياتي احيانا ثم بعدهم صلاح عبد الصبور، وشعر مايسمى او سمي بالمدرسة اللبنانية عبر مجلة الاديب مثلا، وبعد ان اطلعت ايضا على بعض كتب النقد الحديث.

وكنت أحاول استخدام هذا الأسلوب ولكنني كنت أفشل وفشلي كان بسبب انني أبحث عن الاسلوب والشكل قبل موضوع القصيدة قبل فكرة القصيدة وقبل ان تنضج التجربة وتختمر المعاناة وحدث لي مثل هذا الفشل ايضا في كتابة قصيدة التفعيلة، فقبل نضوج التجربة كنت احاول ان اجاري الشعراء المحدثين او الجدد وافشل واعود لالملم جناحي الخيبة والحزن وانكفىء على نفسي واتوقف عن المحاولة

واستعيض عنها بقراءة الدواوين الشعرية القديمة، والجديدة او كتب النقد العربية والمترجمة وانتظر هاجس الشعر حتى ياتي وجاءت كل اساليب التعبير والرمز عفو الخاطر، وانطلقت الى قصيدة التفعيلة ورجعت الى القصيدة البيتية واستخدمت الاسلوبين دون كثير عناء ودون سابق اصرار باستخدام الرمز أو استخدام احد الشكلين، وهذا جزء من المرحلة الرابعة التي اتحدث عنها، او التي وصلت اليها.

أهواك ان تكوني مرة بعيدة عني
ومرة قريبه
وان اراك تارة معي صديقة طارئة
وتارة حبيبه
وان تذوبي في دمي كآبة
ونشوة مذيبه
وان تحولي وان تغيري وان تبدلي
من حالتي الرهيبه
وان تكوني امراة غريبة بجانبي
وحالة عجيبه
وان تكوني في بساطتي بساطة
وقسوة وطيبه
وان تحلي مطرا في ساحتي
وترحلي مصيبه
وان تخالفي طبيعتي
وترفضي وصايتي
وان تدبري انقلابا ثانيا، وثالثا
وثورة رهيبه

ديوان وهكذا احبها

قرأت شعراً، او ماسمى بالشعر عند بعض الشباب في محاولاتهم التجديدية ولكنني لم اجد فيه تألق القصيدة العمودية كالجواهري ووهج الشعر بها كعمر أبو ريشة ولا وجدت الموهبة والثقافة، والموضوع بهولاء وكما في شعر الرواد امثال السياب ونازك وبلند وصلاح عبد الصبور، وغيرهم ودخلت في صراع عنيف معهم وكتبت كثيرا عن رايي في مثل هذا الشعراء او المدعو بالشعر، لامانع من استخدام الرمز، والرمز

بالاسطورة، او القصص الشعبي المحلي والعالمي واحداث التاريخ، ولكن لتأت عفوا وطبيعيه، ومن خلال سياق مقبول، وبدون ان ينزل الجمل من رحم البحر، ويدخل البحر في سرة الليل، ويخرج الليل من بطن الجرادة وتطير الضفدعة على اهداب اذن الحمار، او ذيل البغل.

إن الشعر ليس لغة مجردة، وليس تلاعبا فارغاً بالألفاظ، الشعر فن ورسالة، فن، وهدف أو فكرة في لغة مشرقة، او موضوع في اطار تعبير خاص لايجيده الا الموهوبون، كن موهوباً ثم ثقف نفسك وكن صاحب قضية في اتجاه الحب والخير والجمال يكن لك الشعر والاصالة والابداع وانا بهذا الكلام لا اقيم نفسي، ولا استلب مهمة او مهنة الاخوة النقاد، او القراء، او المستمعين وانما حديث عرضي بالمناسبة، سألني احد الادباء الصحفيين قائلا: هل انت مع القصيدة الراقصة او التي تغني وتطرب او التي تصرخ وتصدم او تحرق... سؤال فيه من لغة الشعر الكثير، ولكنني اجبته:

أنا مع القصيدة الشعر، والقصيدة الشعر هي التي ترقص في اعراس النجوم، وتغني لسحر الشواطيء على شرفات الطيف البهيج.

والقصيدة الشعر هي التي تنفجر من احشاء العواصف اقوى من العواصف وتحمل بالرياح، والأعاصير فتكون هي الرياح والأعاصير امتدادا واجتياحا وقوة.

واي قصيدة لاتصطدم بالجبال وتطاول القيم او تلقى النار على هشيم الصمت، والركود والسأم ليست هي القصيدة الشعر، ولا الشعر يمت اليها بصلة أو بينهما علاقة حميمة.

فانا مع القصيدة التي ترقص وتغني وتسخر وتصرخ وتصدم وتحرق ولكل هذه المشاعر والعواطف والمعاني شاعرها الذي يجيد اللعبة ويمارس اللعب باقتدار.

والحاذقون قليلون والمتطفلون كثيرون، والمحاولون في عدد الرمل والحصى والتراب وليس كل من رقص أجاد ولا من غنى أطرب، ولا من سخر اضحك ولا من صادم صدم وصمد.

إن لغة البلابل تختلف عن لغة الغربان ورقص القردة غير ارتعاشات الزهور وتمايل الاغصان وابتسامات السواقي، والأنهار، وان المرأة الجميلة غير تكشيرة الوحوش وتثاؤب الثعالب.

أنا مع القصيدة التي تلمس اعماقي، وتهز كوامن عواطفي ومشاعري بانـاملها الناعمة او بنارها الحارقة او بدمعها المضرج او بصراخها المتوتر.

ولست مع القصيدة التي تقف على مغالق ابوابي وشرفات نوافذي تنتظر الاذن لها بالدخول او تموت على القشرة الخارجية من جسدي واعصابي.

أي لون من الوان الشعر.. هو شعري

سألني أدباء وصحفيون وباحثون اي لون هو شعرك؟ أو الى أي لون أو نوع ينتمي اليه شعرك ويضيفون لانريد ان تشرح لنا ماهية شعرك من حيث الشكل والمضمون وانما من ناحية الأسلوب ومن ناحية اللغة، وكنت اجيب:

إن شعري من اللون البسيط الواضح والبساطة لاتعني السطحية وإنما العمق في أداء بسيط والوضوح لايعني المباشرة والتقريرية وإنما اللغة المصفاة أو الاسلوب الصافي أو ما يسميه اسلافنا السهل الممتنع والسهل الممتنع هو كالوردة التي يحس كل واحد عندما يراها بأنها جميلة دون ضرورة لأن يسأل من أين أتى سر جمالها، اولا يحتاج لاحد أن يفسر له هذا السر، وحتى قد يفسر جمالها أي تفسير وقد يدخل شعري في بعض الدواوين والقصائد المبعثرة هنا وهناك يدخل او يندرج في اطار الشعر الهامس والشعر الهامس في احد معانيه وعلى رأي بعض النقاد هو الذي يصل الى القلب، والوجدان مباشرة تحس به العواطف والمشاعر قبل ان يستعرضه العقل وهو الكلمات التي تالقت فيما بينها دون تدخل كبير من الوعي أو العقل وهو اللغة التي انتظم فيها الشكل مع المضمون انتظاما عفويا، وكانت لمسات الصنعة فيه غير بارزة او ملموسة ولايعرف هذا السر الا الشعراء وقد لايجيد احد من النقاد او الشعراء انفسهم شرحه او وصفه

واذا حاولوا فسيختلفون دون ادنى شك والاختلاف بينهم هو المسالة النسبية بين الشعر الجيد والاجود والممتاز، قال لي الدكتور محمد السرغيني استاذ الادب العربي في جامعة فاس-المغرب ونحن على القطار في اتجاه البصرة ايام المربد: ان الشعر الهامس هو البسيط بعمق وقد وجد في الشعر العربي من الجاهلية الى اليوم قلت له اضرب لي مثلا فقال قد اختلف مع الدكتور احسان عباس في تفسيره للشعر الهامس وتطبيقه على امثلة من الشعر الحديث ـ ان الشعر الهامس في شعرنا القديم هو مثل هذه الابيات من قصيدة المنخل اليشكري:

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير — الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت مشي القطاة الى الغدير — ولثمتها فتنفست كتنفس الضبي الغريـر

الى اخر القصيدة

وقال ان هذا هو الشعر الهامس في نظري وأرى معه ان الشعر الهامس هو الذي يصل اليك بمعناه او مضمونه همسا، أي بدون صراخ المباشرة، والتقريرية، وقد يكون الرمز واستخدام الاستعارة والاستعارة المكنية والمجاز من وسائل وأدوات الشعر الهامس، وطريقة استخدامها او كيفية استعمالها لايدركها الا الشاعر الموهوب، وقد يستخدمها الشاعر الموهوب وياتي بشعر ممتاز ثم لايستطيع ان يفسر.

ومن الصعب ان اقدم امثلة لشعري الهامس او ماينطبق عليه بعض الاوصاف التي قدمتها انفا ولكنني قد اجازف واروى هذه الابيات من قصيدة عن المغترب اليمني عندما يتذكر امه واباه في الغربة وكيف كان ينظر اليهما او يتخيلهما:

صوت أمي مازال يقرع أذني ويهز الاشواق في اعطافي
وأبي في دمي انعكاس المرايا رفة الهدب.. والتماع الحوافي
وكأني أراه ملء الزوايا جبلاً غافيا.. وليس بغاف
لفتات كما تحدر صيف من رؤوس النخيل والصفصاف
هادىء الجرح وانفجار الليالي في مدى مقلتيه جرح اضافي
وينادي فتستحم العصافير على.. صوته وتجري القيافي

(من ديوان: صاحبتي وانا شيد الرياح)

وقد يكون الشعر الهامس حتى في القصائد الجماهيرية والقصائد الجماهيرية لها لغتها واسلوبها ولكنها لدى الشعراء المبدعين صور مكثفة لماحة، ومضات معان مشرقة تخطف القلوب، والمشاعر وتهزها هزا عنيفا.. ولايشترط في القصائد الجماهيرية ان تحمل كلمات مجلجلة، وان يرفع الشاعر صوته ويحسن صوته بالصراخ والزعيق، يكفي ان يكون ملما بموضوعه عارفا ماذا سيقول وان يسلك الى موضوعه اقصر الطرق، دون اسهاب في الشرح، وزيادة في الحشو ولايضيره طول القصيدة او قصرها اذا عرف كيف يتعامل مع موضوعه.

قال لي احد المعاريف وهو شاعر وذواقة وراوية مايقول ان قصيدتك في ديوان (من مجامر الاحزان) المعنونة (الشمس لاتفقد ذاكرتها)... هذه القصيدة جماهيرية وان كانت من شعر التفعيلة وهامسة لانها لاتعتمد على المباشرة والتقريرية وحديثة جدا لانها تعالج موضوعا اجتماعيا مهما وتكاد ان تكون رمز الارض والثورة من خلال المراة... وقد اعجبني منها هذا المقطع الذي تساوق وانساب بهدوء ودون ازعاج في اللغة او تنافر في الكلمات والتفعيلات او قفزات مؤذية في التركيب الشعري والتأليف البياني.. وروى لي عن ظهر قلب هذا المقطع:

إن سافرت
خذي الشمس سراجا
حطي فوق الفلك الدوار حالك
واكتسحي افقا . .
واغتصبي افقا . .
نحن اتينا من بوح العصفور
ومن همسات الجدول . . والنسمات البكر
ومن عذرية اللحن اتينا
ومن القلب اذا خفقا
ودخلنا نجوى بين الوردة العطر
وذبنا صبوات نشوى
في عاطفة الضوء
فكنا ضوءا في لمعان البرق
وكنا سنبلة في الربوات الخضر
وكنا برقا . . . كنا شفقا
وزرعنا الارض صلاة من وهج القلبين
ودفئا من شعل العينين
وبكيناها . . . وبكت معنا نحن الاثنين
وظوتنا . . . وطويناها حرقا

من ديوان : من مجامر الاحزان

الشاعر / محمد الشرفي . . . هو احد الشعراء الذين كتبوا الشعر الناهض للنهد الامامي قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وندد بالاستعمار في جنوب الوطن اليمني وكنت اول شاعر يمني القى قصيدة بعنوان اذا الشعب صباح يوم الثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وفي حوالي الساعة التاسعة والنصف من اليوم نفسه وهي قصيدة موثقة بصوتي في اذاعة صنعاء ورثقت اخيرا في التلفزيون وفي مركز الدراسات اليمنية ومنها:

انا الشعب زجرة من رعود وانشودة في شفاه الخلود
اذا احتدمت ثورتي فالطغاة بقايا رماد على كل بيد
اضمد جرحي بجرح جديد وامضي لارساء فجر جديد
صنعت العروش انا . . . وانا امزقها لعنة في الوجود
وما العرش لولا انا . . . ما الملوك وما هم سوى طغمة من عبيد

كنت اول من اقترح وانتج البرامج الشعبية . . . وبواسطتها كان لي شعبية عريضة واسعة في سنوات الثورة التاسيسية الاولى، وكان حظ سمعتي الادبية او الشعرية ضئيلة الى جانب هذا البرنامج الشعبي، (كان اسمه هكذا كنا، ثم غيرت اسمه الى جي ننجابر (اي تعالي ندردش) ثم غيرت اسمه ايضا الى وبيني وبينك).

التحقت بالعمل الدبلوماسي عام ١٩٦٥ بعد سجن دام حوالي ثلاثة شهور وكان السجن بسبب مظاهرة صاخبة ضد اولئك الذين انحرفوا عن الدستور، وخرجوا على مبادىء الثورة.

وفي حصار صنعاء اواخر عام ١٩٦٧، وهو ماسمي بحصار السبعين يوما كنت اعمل في الخارجية والاذاعة ومساء احمل البندقية في شوارع صنعاء وخاصة الشوارع المحيطة بالاذاعة.